



# المعارك العقائدية المفتعلة – ١

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

## المعارك العقائدية المفتعلة – ١

مرةً أخرى، لن تكون الأخيرة، نجد أنفسنا مضطرون للغوص في ملف التاريخ، فالأمانة للرب نفسه تطلب منا الشهادة الصادقة على ما هو جوهر وحقيقة المعارك العقائدية التي دامت طوال ٤٠ عاماً، وهذا يضطرنا للرجوع إلى الخلف قليلاً.

### ما هي الحقائق التي لا خلاف عليها بالمرّة؟

يؤمن كل من الأنبا شنودة الثالث، والقمص متى المسكين، وكاتب هذه السطور، بما ورد في قانون الإيمان النيقاوي ٣٢٥-٣٨١: الله الثالث - ألوهية الابن - تجسده - موته على الصليب - قيامته وصعوده - حلول الروح القدس الملك السمائي - يوم الدينونة - قيامة الأموات - حياة الدهر الآتي - الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية.

ولا خلاف بالمرّة حول الإيمان، ولا حتى السرائر الكنسية، وشفاعة القديسين. وكل ما يُقال أو يُكتب عن إنكار أيٍّ من العقائد السابقة هو لغوٌ وتشويشٌ وبهتان.

### إذن، ما هو سبب هجوم الأنبا شنودة الثالث على القمص متى المسكين؟

إذا استبعدنا الكراهية والصراع على القيادة والاحتفاظ بالصدارة، من نطاق البحث، وإذا تركنا العوامل النفسية والشخصية جانباً، ونظرنا فقط إلى حقيقة ما حدث، وإلى محاولة الإبقاء على نارٍ خصامٍ مشتعلة امتدت لتشمل ١٩ اسماً، بعضهم لم يكتُب في أمور عقائدية مثل الأستاذ كمال زاخر، أو الأستاذ سينوت، فماذا نجد؟

أنا أكتب؛ لأنني عشت فصول هذا الصراع وكنت شاهداً عليه. فمنذ عُدت إلى مصر ١٩٧٠ بعد بعثة الحصول على درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج، وجدت أن الكلية الإكليريكية كانت ممزقة الأوصال بين أسقف البحث العلمي، وأسقف

التعليم، وقد استمر هذا الوضع إلى أن تنيح قداسة البابا كيرلس السادس، واشتعلت معركة الخلافة، التي انتهت بإقصاء الأنبا غريغوريوس والقمص متى المسكين. وجاء الأنبا شنودة أسقف التعليم، وكان أمامه لائحة مطالب قَدِّمها كل من الأنبا صموئيل - الأنبا أثناسيوس - القس شنودة السرياني، وكان الثلاثة يجتمعون أسبوعياً في كنيسة مار جرجس كوتسيكا، ولكن هذه اللقاءات انتهت إلى لا شيء، فقد كنت أعرف ما دار في هذه الاجتماعات، وما حدث من خلاف. ويكفي أن أقول إن العقيدة لم تكن هي أحد أسباب الخلاف بين الأنبا شنودة الثالث، والقس شنودة السرياني الذي رُسم أسقفاً على طنطا من جهة، وبين الأنبا صموئيل الشهيد والأنبا أثناسيوس مطران بني سويف من جهة أخرى.

وقد ظهر موضوع الأب متى المسكين لأول مرة، بعد العودة من رحلة وفد الكنيسة القبطية إلى روما ١٩٧٣ فقد حدث لقاء أول وأخير في مكتب سكرتارية الأنبا شنودة الثالث، وكان الموضوع المطروح هو كتابة ردود على كتب: الكنيسة الخالدة، والعنصرة الباركلية في حياة الناس. وكان رأي الحاضرين وهم: الأنبا غريغوريوس - الأنبا صموئيل - الأنبا أثناسيوس - كاتب هذه السطور أن الأفضل هو إصدارات عقائدية لا ترد على أحد، بل تشرح إيمان الكنيسة. ورفض الأنبا شنودة الاقتراح، وانتهى اللقاء إلى لا شيء. ولم يكن لدى الحاضرين أي قناعة بأن كتابة رد على القمص متى المسكين له أي جانب إيجابي، وكان السبب الظاهر الذي تمسك به حتى الأنبا غريغوريوس نفسه هو أن الإيمان ثابت وأن الخلاف على شرح الإيمان لا يُهدد الإيمان، إلا إذا كان الشرح يؤدي إلى إنكار أو تزييف الإيمان نفسه. وكان المثال الواضح هو أن الاعتراف بالوهمية الرب يسوع كواحدٍ مع الآب في الجوهر، أو مساوي له في الجوهر، أو من ذات جوهر الآب، هو اعترافٌ يتضمَّن الدفاع عن ألوهية الرب بشكلٍ واضح، ولكن ما جوهر العلاقة مع الرب؟ وجاء الرد بأنه هو ما سُلم في الليتورجيا، وأن ما يُقال عن محبة الرب لنا هو صحيحٌ، طالما أنه لا يتعدى وحدة جوهر الآب والابن، وأن شرح التدبير يجب أن يكون حسب الاعتراف، ولا

يتعدى هذا الاعتراف.

هذا هو الحق كله، ولا يجب أن يُعتَبَر شرحاً ما، مهما كان، هرطقةً، إلا إذا كان ينزل إلى مستوى الأريوسية، وهو تحديداً، إنكار وحدة جوهر الألوهة للآب والابن.

### ملف التجسد الغائب عندنا منذ القرن الخامس:

وهذه الغيبة تعود إلى الأحداث التاريخية الآتية:

أولاً: الانفصال عن شركة الكنيسة الجامعة بعد ٤٥١ وفشل محاولات الوحدة التي باءت بالفشل لا سيما بعد ٦٨٠-٦٨١ في مجمع القسطنطينية، وزيادة تبادل الاتهامات بالنسطورية والأوطاخية - رغم أن مجمع نيقية في ٧٨٧ الذي أعاد مكانة الأيقونات قَبْلَ دون تحفظ في الكنائس التي رفضت مجمع خلقيدونية ٤٥١. وكان المحور الرئيسي هو طبيعة المسيح.

ثانياً: الانفصال السياسي عن الإمبراطورية الرومانية الشرقية بعد الفتح العربي في ٦٨٢، ولاحظ تقارب الأحداث بعد ٤٥١، ثم الانشغال بقضايا الداخل، أي بقاء الكنيسة، ونهاية وجود مدرسة اللاهوت في الإسكندرية، التي لم نعد نسمع عنها بالمرّة بعد نهاية القرن الخامس.

ثالثاً: تغيير لغة مصر من القبطية / اليونانية إلى العربية في القرن العاشر، وبذلك انعدم تدريجياً التواصل مع كتابات آباء الاسكندرية. وخير مثال هو أننا لم نسمع منذ القرن الخامس - السادس عن كتاب "تجسد الكلمة" لأثناسيوس الرسولي، ولا عن "حوار عن الثالوث" لكيرلس الكبير.

رابعاً: كان انهيار البنية التعليمية (مدرسة الإسكندرية) هو أحد أسباب ضعف الفكر اللاهوتي.

## منابع النهضة القبطية في عصر الأرشيدياكون حبيب جرجس

الأستاذ والقديس حبيب جرجس، هو بلا شك رائد النهضة القبطية في مطلع القرن العشرين، وهو المؤسس الحقيقي للكلية الإكليريكية - اللجنة العليا لمدارس الأحد - مجلة الكرمة. فهو صاحب مشروع نهضوي حقيقي.

ترك لنا الأستاذ حبيب جرجس كتابين: أسرار الكنيسة السبعة - الصخرة الأرثوذكسية - مع عدد من التراجم.

جاء ليعمل في وقت كانت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فيه تقبع تحت حصار حركة الإرساليات الإنجيلية والكاثوليكية معاً. فقد أدرك الكاثوليك ضرورة خلق كنيسة قبطية كاثوليكية موازية لكنيسة مصر الأرثوذكسية، ونجحوا. ولم يفهم المرسلون الأمريكيان التكوين الروحي والليتورجي للكنيسة القبطية، فخلقوا كنيسة غربية إنجيلية لا تختلف عن الكنيسة المشيخية الأمريكية إلا في اللغة.

وجاء الهجوم من الطرفين على كنيسة مصر القبطية الأرثوذكسية، وتبادل الطرفان الهجوم كل على الآخر، ودارت المطابع في القاهرة وفي بيروت معقل المطبعة الأمريكية، فجاءت سلسلة وليم أدي لشرح كل الأسفار، وغيرها من كتب، كان تحتوي هجوماً مقنعاً أو مُعلنًا على العقائد والطقوس والسرائر والكهنوت، ودخلت الكنيسة الأسقفية الحلبة لتؤكد وجودها، وباتت ساحة الكنيسة القبطية مسرحاً لا تجد البطل الذي يدافع عنها إلى أن جاء الأستاذ حبيب جرجس، وبدأ نشاط اللجنة العليا ثم الإكليريكية، وكان الجهد المبذول في سبيل ذلك جهداً محلياً.

يتبع ...

د. جورج حبيب بباوي